أحمد الشّهاوى

ahmad_shahawy@hotmail.com

مصطفى الفقى فى أدب الصورة القلمية (٢)

مصطفى الفقى- المُتعدّد الجوانب فى شخصيته- وهو يكتب عن الآخرين، حيث يتحرّى الدقة التى اكتسبها من عمله الدبلوماسى، وشخصيته الأكاديمية الصارمة، هو فى الواقع يَحْكى أَحْدَاثًا عَاشَهَا؛ لأنه فى طبيعته الشّخصية لمن اقترب منه حكّاء «صيغة مبالغة من الفعل حكَى، وهو من يقصُّ الحكايةَ والقصّةَ فى جمعٍ مِن النّاس، وهو الكثيرُ الحكاية، لسَانُه لا يَتَوَقّف عَنِ الحكيّ» وهو لمّاح، وذكىّ، وذو ذاكرة لا تعرِف النّقوب أو النسيان، ولديه قدرةٌ عميقةٌ على فهم النفس البشرية، «وإقامة جُسور التواصل معهم».

يكتب عن الذين عرفهم وأثّروا فى تكوينه بشكلٍ مباشر أو غير مباشر، أو قد عرف أو تعلّم منهم شيئًا، فى كتبه «فى أدب البورتريه» نرى الأكاديمى يغيّر منهج كتابته عندما يذهب إلى طريق الصورة القلمية أو البورتريه السيرى أو الشخصى، حيث لا يلجأ إلى كتاب أو أرشيف أو مرجع ما، مثلما يفعل كُثيرون وتفعّل كثيرات، إذ لا يستطيعون الكتابة إلا استنادًا إلى «الأرشيف» وهى كتابة أقرب إلى إعادة الكتابة ولكن بلغةٍ أخرى، وهى عندى انتحالٌ وتزويرٌ وتزييفٌ وتزويقٌ ولا تعتمد على التجربة الشّخصية والمعرفة الوثيقة بين الكاتب والمكتُوب عنه،لكن مصطفى الفقى- صاحب القدرات الخاصة الواثقة- يعترف فى مقدمة كتابه «شخصيات على الطريق» الصادر عن الدار المصرية- الطبعة الثانية ٢٠١٨ ميلادية: «لم أكتب عن شخصية إلا وقد عرفتُها عن قرب، فليس فيما أكتبه توصيفًا لسيرة ذاتية أو تجميعًا لأوراق شخصية، إنما هو نوعٌ من الفهم للعقل الذىّ أتعامل معه والتذوق للروح التى أكتب عنها بين من عرفتهم واستمعتُ إليهم، وتحدثتُ معهم، إنها أقرب إلى فكرة الكاريكاتير السياسى، أو البورتريه الشخصى (.....) لقد تعاملتُ مع الملوك والرؤساء والقادة والوزراء، وعامة الناس من البسطاء إلى جانب المفكّرين والفلاسفة والأدباء، وعرفتُ من الناس الأغنياء والفقراء..».

تنوّع الأمكنة التى عاش فيها مصطفى الفقى وعمل، مثل الهند «من لم ير الهند لم ير العالم» وبريطانيا والنمسا- بشكل أساسىّ - كملحق ومستشار وقنصل وسفيرٌ قد أفادَ الكاتبَ، وصقل تجربته، وزوّده بمعارف جديدة، ورؤى مدهشة، جعلت كتابته مُشوّقة ومُثيرةً للمتابعة والقراءة «عدتُ من الهند بَعد أربع سنوات، كانت ثقافتى أكثر ثراءً وأفكارى أكثر تنوعًا، ورؤيتى أكثر اتساعًا» فمصطفى الفقى قارئ أدب بامتياز، وقد تربّت ذائقته على منجز الروّاد «قضيت سنوات الطفولة متنقلا بين أعمال توفيق الحكيم: «عصفور من الشرق»، و«يوميات نائب فى الأرياف»، و«أهل الكهف»، و«شهرزاد» وصولا إلى «نهر الجنون» وفلسفته العميقة حول «التعادلية» وغوصه فى أعماق «السلطان الحائر».

وفيما كتب مصطفى الفقى لا يركز فقط على الجوانب الإيجابية فى شخصيات من يرسمهم بقلمه، لكنه أيضًا يذهب- ولكن بشكل أقل- نحو ما هو سلبى في مسيرتهم الحياتية «أنا لا أكتب سيرة ذاتية، ولا ألتزم بالسياق التاريخى للشخصية، فأنا أكتبُ عمّن عرفت مباشرة، ومن تعاملتُ معهم فى حياتى (...) وأختار شخوصى خليطا من مختلف التخصصات والاتجاهات والعقائد والديانات والأعراق والجنسيات».